الفصل الرابع
أسفار الديانة البرهمية[1]

تعد الديانة البرهمية من أقدم الديانات في الأمم الآرية؛ فإن تاريخها يرجع إلى عصر سحيق يصعد به بعضهم إلى نحو القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ويعتنقها الآن معظم سكان الهند وبعض سكان الباكستان.

وهي منسوبة للإله براهما Brahma، وهو عند معتنقي هذه الديانة اسم للإله الخالق. ولا صحة لما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل من أنها تنسب إلى رجل عظيم منهم يقال له براهم[2].

ويطلق على الأسفار المقدسة لهذه النحلة اسم «الفيدا» Veda ومعناها المعرفة أو العلم[3].

ومن أسفار «الفيدا استمدت «قوانين مانو» Lois de Manou التي تنسب لمشرع هندي قديم اسمه مانو أو مانافا وهي تفصيل وشرح وبيان لما اشتملت عليه أسفار الفيدا من قصص ديني وعقائد وشرائع وأخلاق. وينزل البرهميون هذه القوانين منزلة التقديس كذلك، حتى لقد اعتقدوا أن مؤلفها أحد الآلهة المنبثقين عن الإله الخالق «براهم».

وسنقف الفقرة الأولى من هذا الفصل على التعريف بأسفار «الفيدا» والفقرة الثانية على التعريف «بقوانين مانو»، ثم نلقي في بقية فقرات هذا الفصل نظرة على ما تشتمل عليه هذه الأسفار من عقائد وعبادات وشرائع وأخلاق[4].

---

(1) من أهم مراجعنا في هذا الفصل:

Loiseleur-Delongchamps: traduction du sanscrit des "Lois de Nanou" accompagnée de notes explicatives et d'une notice sur les Védas.

وسنكتفي في الإحالة على هذا المرجع فيما يلي بكلمة لوزالير.

(2) الشهرستاني: الملل والنحل، الجزء الثاني، ص251، طبعة مصطفى الحلبي 1961.

(3) يعرب البيروني في كتابه «تحقيق ما للهند... إلخ» كلمة «فيدا» إلى «بيذ» بباء فياء فذال.

(4) سنعرض في أثناء كلامنا عن هذه الأمور لشيء من القصص الديني في أسفار هذا الدين.

أسفار الفيدا

يطلق البرهميون اسم الفيدا Védas (ومعناها في اللغة السنسيكريتية القديمة المعرفة أو العلم) على مجموعة أسفار قديمة يعتقدون أنه موحى بها من الإله براهما نفسه، وأنه جمعها حكيم من حكمائهم اشتهر باسم «فيدا فياسا» Védas-Vya'sa أي جامع الفيدا[1]. وهي أربعة مجموعات من الأسفار، تنقسم كل مجموعة منها قسمين: قسم للأدعية والصلوات وتسمى «منترا» Mantras وقسم للتعاليم المتعلقة بالعبادات والشرائع وما إلى ذلك ويسمى «برهمانا» Brahmanas[2].

ويقول الزعيم الهندي الراحل جواهر لال نهرو في إحدى رسائله عن الهند القديمة: «لعل هذه الكتب لم تدون في أول الأمر، وإنما حفظت عن ظهر قلب، وبقيت في صدور الحفاظ من حكماء تلك العصور يتناقلونها مشافهة جيلاً بعد جيل. وبعد انتشار نظام الكتابة كتبت الفيدا الأربع باللغة السنسيكريتية، وسُمي المجموع «سمهتا» أي الديوان المجموع».

وهذه المجموعات الأربع هي:

1 ـ «ريج فيدا» أو «ريتش فيدا» Rig-Véda, ou Ritch-Véda (ومعناها الفيدا النارية أي المنسوبة للنار). وهي قسمان: يتمثل أحدهما في أدعية وصلوات وأوراد منظومة تُتلى في بعض المناسبات (منترا)؛ ويشتمل الآخر على تعاليم تتعلق بالعبادات والواجبات الدينية (براهمانا).

2 ـ «ياجور فيدا» أو «ياجوس فيدا» Yadjour-Véda, ou Yadjouch (ومعناها الفيدا الهوائية أي المنسوبة للهواء) وهي مجموعتان يطلق على إحداهما اسم «ياجور ـ فيدا البيضاء»؛ وعلى الأخرى اسم «ياجور ـ فيدا السوداء». وكل مجموعة منها تنقسم قسمين: يتمثل أحدهما في أدعية وصلوات وأوراد نثرية تتلى في بعض المناسبات (منترا)؛ ويشتمل الآخر على تعاليم تتعلق بالواجبات الدينية (براهمانا).

---

(1) لوازلير، 380.

(2) لوازلير، 389، 390.

3 ـ «سامان فيدا» أو «ساما فيدا Saman Véda, ou, Sama-Veda (معناها الفيدا الشمسية أي المنسوبة للشمس)، وهي قسمان كذلك: يتمثل أحدهما في مزامير دينية يتغنى بها في بعض المناسبات (منترا)؛ ويشتمل الآخر على تعاليم متعلقة بالعبادات والواجبات الدينية (براهمانا).

4 ـ «أتارفانا فيدا» (لعلها نسبة لحكيم من حكماء الهند يدعى «أتارفانا»)، وهي كذلك تنقسم قسمين: يتمثل أحدهما في أوراد وأدعية للاستغفار والرقي ضد السحر وضد الأرواح المدمرة الخبيثة (منترا)؛ ويشتمل الآخر على طائفة من شرائع الديانة البرهميَّة (براهمانا) وبخاصة ما يتعلق منها بالتفرقة العنصرية بين الطبقات، وهو النظام الذي تقوم عليه أهم العلاقات الاجتماعية بين طبقات الناس والذي يحدد مركز كل طبقة ووظائفها عند البرهميين. وسنعرض لهذا النظام بشيء من التفصيل عندما نتكلم عن الشريعة في الديانة البرهمية ـ وبهذه الطائفة من الشرائع الاجتماعية يمتاز هذا السفر عن الأسفار الثلاثة السابقة.

هذا، وقد ظهر للمحققين من المشتغلين بالدراسات الهندية، وعلى رأسهم العلامة وليم جونس Willam Jones أن الكتب الثلاثة الأولى هي أقدم هذه الكتب جميعاً في تاريخ تأليفها، وأن أقدمها هو (الريج فيدا) الذي يرجع تاريخ تأليفه، في نظر بعضهم إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وأن السفر الرابع هو أحدثها جميعاً، بل إن المشرع الهندي الشهير «مانو»، الذي سنتحدث عنه في الفقرة التالية،وغيره من قدامى المشرعين الهنود، حينما يتكلمون على الفيدا لا يكادون يذكرون إلا الأسفار الثلاثة الأولى، وقلما يرد للسفر الرابع ذكر في كلامهم؛ فلم يرد له ذكر في قوانين «مانو» إلا مرة واحدة فحسب؛ وحينما يشيرون إليه لا يذكرونه على أنه جزء من «الفيدا» أي لا يضيفون إليه كلمة «فيدا».

ويمكن أن يستنتج من هذا أنه لم يكن في الأصل من الكتب المقدسة، وأنه قد أقحم عليها فيما بعد، وأنه أحدث منها كثيراً من تاريخ تأليفه. ولكن العلامة كولبروك Colebrook ـ وهو من ثقات الباحثين في أسفار البرهميين ـ يذهب إلى أن قسماً غير يسير من «الأتارفانا» يرجع تاريخه إلى العصر نفسه الذي أُلفت فيه الأسفار الثلاثة السابقة[1].

---

(1) لوازلير ص2، تعليق1.

وقد اكتسبت أسفار الفيدا بتقادم العهد قداسة عند الهنود، واعتقدوا أنَّها وحيٌ منزل من الإله براهما، وحرصوا أيما حرص على صيانتها. ولذلك سلمت من الأحداث التي أصابت أسفار «الأبستاق» وأضاعت قسماً كبيراً منها، كما سبق بيان ذلك في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

هذا، ويضيف بعضهم إلى هذه الكتب الأربعة كتاباً خامساً يتألف من قسمين، وهما «الإيتيهازا» Itihasa و«البورانا» Pourana ويسمونه «الفيدا الخامس». ولكن الصحيح أن هذين السفرين وأسفاراً أخرى مثل «السوترا» Les Soutra و«البرهمانا» و«اليوبانيشاد» Oupanicahade و«الفيدانتا» Vedanta هي شروح وتعليقات على الفيدا، وليست من أسفار الفيدا نفسها، وأنها قد ألفت في عصور متأخرة عن العصور التي ظهرت فيها أسفار الفيدا الأصيلة.

وقد كتبت أسفار الفيدا في الأصل بإحدى اللهجات السنسيكريتية القديمة، وقد انقرضت هذه اللهجة منذ أمد بعيد من لغة الكتاب ولغة التخاطب، وأصبحت غير مفهومة إلا لطائفة من كبار رجال الدين. وكانت عقائدهم تحرم عليهم أن يعلموا هذه الأسفار أو يبوحوا بحقائقها لغير أهل ملتهم. ومن أجل ذلك ظلت هذه الكتب مجهولة للعلماء حتى القرن العاشر الميلادي. وفي أواخر هذا القرن استطاع العلامة أبو الريحان البيروني (محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني المولود سنة 362 هـ الموافق لسنة 973 ميلادية والمتوفَّى سنة 440 هـ) أن ينقل إلى العربية طائفة كبيرة من محتويات الفيدا (وجرى على تعريبها بكلمة «بيذ») في كتابه الشهير الذي ألفه حوالي سنتي 390، 391 هجرية وجعل عنوانه:

تحقيق ما للهند من مقولة مقبولةٍ في العقل أو مرذولة

وذلك أنه ذهب في سن مبكرة إلى بلاد الهند مرافقاً للسلطان محمود الغزنوي في حملاته وغزواته، وعكف هناك على دراسة اللغات الهندية القديمة والحديثة وعلى دراسة آداب الهنود وثقافتهم حتى أتقنها جميعها، واستطاع بفضل ذلك أن ينقل في كتابه القيم المشار إليه أهم ما يتعلق بأسفار الفيدا وبعقائد الهنود وفلسفتهم وآدابهم وعلومهم وثقافتهم على العموم، وقسمه ثلاثة أقسام: قسم خاص بالفلك، وقسم خاص بالرياضة؛ وقسم خاص بالفلسفة وما يتصل بها من عقائد. والقسم الأخير هو أشد أقسام الكتاب

علاقة بأسفار الفيدا وشروحها، فكان كتابه هذا أول مفتاح لدراسة هذه الأسفار وأول كاشف لأسرارها[1].

وفي منتصف القرن السابع عشر الميلادي استطاع أحد علماء الفيدا الفرس وهو دارا شيكو Dara-Chékou أن يحصل على بعض أجزاء من الفيدا، واستطاع كذلك بفضل اتقانه للغة السنسيكريتية المدونة بها أسفار الفيدا، أن يترجم هذه الأجزاء إلى اللغة الفارسية، وظهرت هذه الترجمة سنة 1067 هـ الموافقة لسنة 1657 الميلادية. ثم أتيح بعد ذلك في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لكثير من العلماء الأوربيين المشتغلين بدراسة الثقافة الهندية أن يعثروا في المكتبات الهندية القديمة على نسخ مخطوطة لأسفار الفيدا، وأتيح لهم كذلك بفضل دراساتهم اللغوية وتمكنهم من معرفة اللغة المؤلفة بها هذه الأسفار، بعد أن اهتدوا إلى حل جميع رموزها، أن يترجموها إلى اللغات الأوروبية الحديثة. ويرجع أكبر قسط من الفضل في هذا الصدد إلى عالمين إنجليزيين هما سير وليم جونس William Jones وكولبروك Colebrook.

قوانين مانو

تشتمل «قوانين مانو» أو «مانافا دهارما ساسترا» Manava-Dharma Sastra (أي كتاب قوانين مانو) على تفصيل للدين البرهمي عقائده وعباداته ومعاملاته ونظمه الاجتماعية بمختلف فروعها (نظم السياسة والاقتصاد والأسرة والقضاء والحرب والقوانين المدنية وقوانين العقوبات ونظم التربية والأخلاق.. وهلم جرا)، كما تشتمل على تاريخ الكون ونشأته وخلق الإنسان وتقسيم الطبقات.

وينسب هذا السفر لمشرِّع قديم اسمه «مانو» أو «مانافا». ولا نعلم تاريخه على وجه اليقين. وأرجح ما قيل في هذا الصدد من آراء أنه عاش حوالي القرن الثالث الميلادي.

وينزل البرهميون هذا السفر منزلة التقديس، حتى لقد اعتقدوا أن مؤلفه هو أحد الآلهة الستَّة المنبثقين عن الإله الخالق (براهما)، والذين تتابعوا في حكم العالم.

---

(1) نشر هذا القسم على حدة وحققه وقدم له صديقنا المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود تحت عنوان الفلسفة الهندية مع مقارنة بفلسفة اليونان والتصوف الإسلامي. وسنحيل على هذا الكتاب فيما ننقله عن البيروني.

وهو أهم مرجع للباحثين في الدين البرهمي، لأنه قد استوعب جميع نواحي هذا الدين قصصه وعقائده وعباداته وشرائعه، ولم يغادر أي فرع من هذه الفروع إلا فصله تفصيلاً. ويستمد أحكامه من أسفار الفيدا نفسها، كما يصرح بذلك في مقدمته.

وقد ألف في شعر منظوم، ويشتمل على 2684 مادة، تندرج تحت اثني عشر كتاباً:

- الكتاب الأول في الخلق ويعرض لخلق براهما للكون والعالم والإنسان وتقسيمه للطبقات، ويشتمل على 119 مادة.
- والكتاب الثاني في الأدعية والصلوات والأخلاق، ويشتمل على 249 مادة.
- والكتاب الثالث في نظم الأسرة والزواج وما يتصل بذلك، ويشتمل على 286 مادة.
- والكتاب الرابع في النظم الاقتصادية وشؤون العمل والمعاش، ويشتمل على 260 مادة.
- والكتاب الخامس في شؤون الاستغفار والتكفير والطهارة وواجبات المرأة، ويشتمل على 169 مادة.
- والكتاب السادس في شؤون التصوف والزهد.. وما إلى ذلك، ويشتمل على 97 مادة.
- والكتاب السابع في النظم السياسية والحربية وواجبات الملوك والحكام ورجال الجيش، ويشتمل على 226 مادة.
- والكتاب الثامن في النظم القضائية والشؤون المدنية وقانون العقوبات، ويشتمل على 420 مادة.
- والكتاب التاسع تكملة للقوانين المدنية وقانون العقوبات وواجبات طبقة التجار وطبقة الخدم والعبيد، ويشتمل على 336 مادة.
- والكتاب العاشر في طبقات المجتمع والنظم الخاصة بكل طبقة منها وما يجب مراعاته في أوقات المجاعة، ويشتمل على 131 مادة.
- والكتاب الحادي عشر في قوانين التكفير والاستغفار من الخطايا والذنوب، ويشتمل على 265 مادة.
- والكتاب الثاني عشر في تناسخ الأرواح وتجولها والسعادة الأخروية، ويشتمل على 126 مادة.

وقد ترجم هذا الكتاب إلى معظم اللغات الحية. ومن أهم تراجمه ترجمته الفرنسية التي نشرها العلامة لوزالير دولونشان A. Loiseleur-Delongchamps مصحوبة بتعليقات هامة كثيرة، ومذيلة ببحث قيم عن أسفار الفيدا التي استمدت منها هذه القوانين.

العقيدة في أسفار الدين البرهمي وتطورها

تقوم العقيدة البرهمية في أسفار الفيدا وقوانين مانو على الدعائم الثلاث الآتية:

1 ـ وحدانية الله ووحدة الوجود: تقرر أسفار الدين البرهمي أن الله واحد لا شريك له، وأنه قد صدرت عنه جميع الكائنات، وسرت منه روح في الجماد والنبات والحيوان. فالموجود بحق هو الله وحده، وليست هذه الكائنات إلا مظاهر منه، وهذا هو ما يعبر عنه بنظرية وحدة الوجود التي انتقلت إلى التصوف الإسلامي ونظريات رجاله وخاصة ابن عربي والحلاج.

وإلى هذا تشير أسفارهم المقدسة وهي الفيدا إذ تقول على لسان براهما: «إنني أنا الله نور الشمس، وضوء القمر، وبريق اللهب، ووميض البرق، وصوت الرياح، والعرف الطيب ينبعث في الأرجاء، والأصل الأزلي لجميع الكائنات،وحياة كل موجود. إنني صلاح الصالح، أنا الأول والآخر، أنا السماوات والأرض». وتقول في موضع آخر: «إن الله واحد لأن الجميع (أي جميع الكائنات، فهي كلها مظاهر منه)، وهو الله الذي لا إله غيره، رب الأرباب، مالك العالمين، وخالق السماوات والأرضين».

ويقول أبو الريحان البيروني في كتابه القيم: «تحقيق ما للهند من مقولة»: «واعتقاد الهند (يقصد البراهمة) في الله سبحانه أنه الواحد الأزلي، من غير ابتداء ولا انتهاء، المختار في فعله، القادر الحكيم، الحي المحيي، المدبر المبقي، الفرد في ملكوته عن الأضداد والأنداد، لا يشبه شيئاً ولا يشبهه شيء». ثم أخذ يورد نصوصاً كثيرة من كتبهم تؤيد ما ذكره عن اعتقادهم بوحدانية الله وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث[1].

هذا وتبدو فكرة التوحيد واضحة كل الوضوح في شرحين من شروح الفيدا وهما اليوبانشاد والفيدانتا. وفي هذا الكتاب الأخير (الفيدانتا) تتبلور فكرة وحدة الوجود التي يقوم عليها الدين البرهمي وتصل إلى ذروتها، فيقرر هذا السفر في عبارة صريحة أن الله والنفس الإنسانية وجميع الكائنات شيء واحد.

2 ـ تناسخ الكائنات وتجوال الأرواح (الكارما). وتقرر العقيدة البرهمية أن أرواح الكائنات التي صدرت عن الموجود بذاته وهو الله متجولة متناسخة ينتقل بعضها إلى

---

(1) البيروني، المرجع السابق، ص30 وتوابعها.

مواطن بعض ويتقمص بعضها أجسام بعض، وهذا هو ما يعبر عنه بالتناسخ أو تجوال الروح. فهم يعتقدون أن الروح جائلة متنقلة في أطوار شتى من الوجود، تنتقل من جسد إلى جسد، سواء أكان من الإنسان أم من الحيوان، في طريقها إلى هدفها الأخير (الذي سنبينه في الدعامة الثالثة). ويعتقدون أن كل ما يصيب الكائن في أي مرحلة من مراحل تناسخه إنما هو نتيجة لمقدمات وأعمال حدثت في مرحلة ما من مراحل وجوده. فما يصيب الإنسان مثلاً من سعادة وآلام إنما يكون جزاء أو نتيجة لأعمال صالحة أو شريرة عملها في وجوده الحالي، أو في وجود سابق حينما كانت روحه متقمصة كائناً آخر. فكل عمل يأتيه الإنسان له ثمرته ونتيجته حتماً، وهذه الثمرة لابد أن تحدث في دور من أدوار الميلاد المتكررة التي تنتقل فيها الروح. فإن لم تحدث في الدور الذي حدث فيه العمل، فهي لا بد حادثة في دور من الأدوار التالية له. ويعبرون عن هذه الفكرة بكلمة «كارما».

وإلى هذا يشير البيروني إذ يقول: «كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإسبات علامة اليهودية، كذلك التناسخ علامة النحلة الهندية، فمن لم ينتحله لم يك منها ولم يعدَّ في جملتها».

ويؤيد هذه القضية بنصوص من كتبهم فيقول: «حقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئاً من صريح كلامهم في هذا الباب... قال باسديو لأرجن يحرضه على القتال وهما بين الصفين: إن كنت بالقضاء السابق مؤمناً فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معاً بموتى ولا ذاهبين ذهاباً لا رجوع معه؛ فإن الأرواح غير مائتة ولا متغيرة، وإنما تتردد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة، التي عقباها موت البدن ثم العود. وقال له: وكيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود، لا عن ولادة، ولا إلى تلف وعدم، بل هي ثابتة قائمة، لا سيف يقطعها، ولا نار تحرقها، ولا ماء يغصها، ولا ريح تيبسها، لكنها تنتقل من بدنها إذا عتق (بمعنى قدم أي أصبح قديماً لا يصلح احتمال الروح) نحو آخر ليس كذلك، كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق (أي بَلِيَ)، فما غمك لنفس لا تبيد؟»[1].

وأما الطريقة التي يجري بها التناسخ فسنعرض لها عند كلامنا على اعتقادهم في الجنة والنار.

---

(1) البيروني، المرجع السابق، ص53.

ويظهر أن هذه الآراء قد انتقلت إلى بعض الفرق المنتمية للإسلام. فقد ذكر العلامة ابن حزم في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (جزء أول صفحات 72 ـ 79) أن بعض فلاسفة الإسلام قد ذهبوا إلى القول بتناسخ الأرواح. فذهب فريق منهم «إلى أنَّ الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد إلى أجساد أخرى وإن لم تكن من نوع الأجساد التي فارقت. وهذا قول أحمد بن حابط وأحمد بن نانوس تلميذه وأبي مسلم الخراساني ومحمد بن زكريا الرازي الطبيب صرح بذلك في كتابه الموسوم بالعمل الإلهي، وهو قول القرامطة. وقال الرازي في بعض كتبه: لولا أنه لا سبيل إلى تخليص (أي نقل) الأرواح من الأجساد المتصورة بالصور البهيمية إلى الأجساد المتصورة بصور الإنسان إلا بالقتل والذبح لما جاز ذبح شيء من الحيوان البتة. ويقولون إن التناسخ إنما هو على سبيل العقاب والثواب. قالوا فالفاسق المسيء الأعمال تنتقل روحه إلى أجساد البهائم الخبيثة المرتطمة بالأقذار والمسخرة الممتهنة بالذبح... واحتجت هذه الطائفة المرتسمة بالإسلام أعني أحمد بن حابط وأحمد بن نانوس بقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾ (الانفطار: 6 ـ 8) وبقوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا﴾ (الشورى: 11). وذهبت الفرقة الثانية إلى أن منعت من انتقال الأرواح إلى غير أجساد التي فارقت. وليس من هذه الفرقة أحد يقول بشيء من الشرائع، وهم من الدهرية».

3 ـ رجوع الأرواح إلى مصدرها الأول وهو الله. تقرر العقيدة البرهمية أن روح كل كائن تعود في نهاية مطافها إلى مصدرها الأول الذي نشأت منه وهو الله. والإنسان أحد هذه الكائنات، فيعرض له ما يعرض لها، وروحه قطرة من نور الله، انفصلت عن الله إلى أجل محدود، واتصلت به، ثم تتصل بعده بكائن آخر وآخر وهكذا على طريق التناسخ وتجوال الروح، ثم تعود في النهاية إلى الله متى جاء الأجل، كالقطرة من الماء العذب، تصعد بخاراً، وترقى في السماء، وتنتقل من جهة إلى جهة، وقد تتحول إلى قطع من الثلج أو البرد أو غير ذلك، ثم تسقط على قمم الجبال، وتجري في الأنهار، ثم ترجع في نهاية مطافها إلى البحر الذي انفصلت عنه في أول الأمر؛ أو كالهواء الحبيس في قدح مقلوب ـ حسب تشبيه أسفارهم نفسها ـ يظل منفصلاً عن الهواء الخارجي وإن كان منه، حتى يتحطم القدح، وحينئذ يزول الفاصل بينها ويتحدان.

فالديانة البرهميَّة كانت في أصلها ـ على ما يبدو من نصوص أسفارها ـ ديانة توحيد، مشوبة بعقائد وحدة الوجود وتناسخ الأرواح ورجوع الكائنات إلى الخالق وما إلى ذلك من المعتقدات التي انتقل كثير منها إلى التصوف الإسلامي ونظريات بعض رجاله وإلى بعض فلاسفة المسلمين وبعض الفرق المنتمية للإسلام.

ولكنها تغيرت وحرفت على مر الأيام، وحلت محلها عقيدة تثليث؛ لأنهم زعموا أن براهما كان قبل الوجود في فضاء لا نهاية له، فرغب أن يكون كثيراً، فخلق العالم بقوة إرادته وبفيض من ذاته (نظرية وحدة الوجود) وسمى نفسه الخالق. ثم انبثق منه الإله المدمر، وهو الإله سيفا Civa الموكل بالخراب والفناء، فلا يذر من شيء أتى عليه إلا جعله كالرميم. ولو ترك هذ الإله وشأنه لفنيت السماوات والأرض ومن فيهن. ولهذا انبثق من براهما إله ثالث حافظ مجدد وهو الإله فيشنو Vichnou.

وبذلك امَّحتْ عقيدة التوحيد الأصلية في الدين البرهمي، واستبدل بها هذا الثالوث. ويتجه البرهميون الآن بمعظم عباداتهم إلى الإله فيشنو، وهو الإله الحافظ المجدد. أما الإله سيفا فهو إله مدمر يتُّقى شره. وأما الإله براهما وهو أصلها جميعاً فيزعمون أنه قد أدى وظيفته وهي الخلق، وأنَّه ينعم الآن بالراحة المطلقة الكاملة.

وقد سرت صفة القداسة عندهم مع تقادم العهد إلى بعض الأنهار والجمادات وبعض الحيوانات، وعلى الأخص فصيلة البقر، التي ينزلونها منزلة كبيرة من القداسة تقرب من درجة العبادة، ويحرمون ذبحها، ويعتبرون التعرض لها بأذى من أكبر الجرائم.

وفي ذلك يقول الزعيم الهندي الراحل جواهر لال نهرو: «إن قدامى الهنود قد علقوا أهمية كبيرة على الزراعة. ومن ثم عظموا كل شيء من شأنه أن ينهض بها. فرأوا الأنهار الكبرى يتوقف على مائها نمو النبات، فنظروا إليها نظرة إكبار. ورأوا ما يقدم إليهم البقر من مساعدة جليلة في شؤون الحرث والزراعة على العموم، فعظم شأنه لديهم. ومع تقادم العهد نسي الناس السبب في تعظيم قدمائهم للأنهار والبقر وأخذت صفة القداسة تسري إليها، فاعتبروها بمثابة الآلهة وعبدوها».

وسرت إليهم كذلك عبادة الأصنام التي ترمز إلى الآلهة أو إلى الملائكة أو إلى الكواكب أو القديسين، وتفنَّنوا في صنعها ووضعوا لنحتها قواعد ومقاييس مضبوطة

تختلف باختلاف ما ترمز إليه، وأعطوا لكل منها اسماً خاصّاً وتقربوا إليها بالصدقات والقرابين[1].

وذكر الشهرستاني أن من أهم عقائد البرهميين إنكار النبوة. وأنهم يرون استحالتها في العقول، فيقولون: «إن الذي يأتي به الرسول لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون معقولاً؛ وإما ألا يكون معقولاً. فإن كان معقولاً فقد كفانا العقل التام إدراكه والوصول إليه. فأي حاجة إلى الرسول؟ وإن لم يكن معقولاً، فلا يكون مقبولاً، إذ قبول ما ليس بمعقول خروج عن حد الإنسانية ودخول في حَرَمِ البهيمية»[2].

ويعتقد البرهميون بالجنَّةِ والنار، ولكن بصورةٍ تختلف اختلافاً كبيراً عن عقيدة المسلمين. ويشرح البيروني عقيدة البرهميين بالجَنَّةِ والنار فيقول:

«المجمع يسمى «لوك». والعالم ينقسم قسمة أولية إلى علو وسفل وواسطة: فيسمى العالم الأعلى «سفر لوك» وهو الجنة؛ والعالم الأسفل «ناكلوك» أي مجمع الحيات وهو جهنم، ويسمى أيضاً «نرلوك»، وربما سموه «باتال» أي أسفل الأرضين؛ وأما الأوسط الذي نحن فيه فيسمى «مادلوك» و«وما نش لوك» أي مجمع الناس. والأوسط للاكتساب؛ والأعلى للثواب؛ والأسفل للعقاب. وفي هذين الأخيرين يستوفي جزاء العمل من استحقهما مدة مضروبة بحسب مدة العمل. والكون في كل واحدة منها للروح مجردة عن البدن. وللقاصر عن السمو إلى الجنة أو الرسوب إلى جهنم «لوك» آخر، يسمى «ترجكلوك» وهو النبات والحيوان غير الناطق: يتردد الروح في أشخاصهما بالتناسخ إلى أن ينتقل إلى الأنس على تدريج من أدون المراتب النامية إلى عليا المراتب الحساسة. وكونها فيها على أحد وجهين: إما لقصور مقدار المكافأة عن محلي الثواب والعقاب؛ وإما لرجوعها من جهنم. فعندهم أن العائد إلى الدنيا (من الجنة) متأنس في أول حالته. والعائد إليها من جهنم متردد في النبات والحيوان إلى أن يبلغ مرتبة الإنسان»[3]. أي أن أرواح الناس في حياتهم الأولى تكون في المنزلة الوسطى وهي منزلة العمل والكسب، فإذا ماتوا انتقلت أرواح الخيرين منهم إلى الجنة (المنزلة العليا) تستوفي فيها جزاء العمل مدة

(1) انظر في ذلك البيروني، المرجع السابق، ص100 ـ 111.

(2) الشهرستاني: الملل والنحل، الجزء الثاني، ص251 (الطبعة السابقة).

(3) البيروني، المرجع السابق، ص59.

مضروبة بحسب قدر العمل وكماله، وانتقلت أرواح الخاطئين منهم إلى جهنم (المنزلة السفلى) تستوفي فيها جزاء عملها كذلك مدة مضروبة بحسب مبلغ جرمها. وبعد استيفاء جزاء عملها في الجنة أو في النار، تنتقل الأرواح الخيرة من الجنة إلى آدميين آخرين فترجع إلى المنزلة الوسطى، وأما الأرواح الخاطئة فتنتقل من النار إلى الحيوان والنبات. ومنزلة الحيوان والنبات منزلة رابعة غير المنازل الثلاث السابق ذكرها، تستقر فيها في بادئ الأمر الأرواح غير الآدمية لأنها قاصرة عن المنزلة الوسطى وعن السمو إلى الجنة وعن الرسوب إلى النار، وتستقر فيها كذلك أرواح الآدميين العائدة من جهنم. وهاتان الطائفتان من الأرواح المستقرتان في الحيوان والنبات تتجولان في أشخاص الحيوان والنبات بالتناسخ إلى أن تنتقلا إلى الإنس على تدريج من أدنى المراتب النامية إلى عليا المراتب الحساسة، فتصبحا في المنزلة الوسطى... وهكذا دواليك. فالثواب والعقاب عندهم في الجنة والنار إنما يكونان للروح وحدها مجردة عن البدن ويكونان مؤقتين لأجل محدد لا دائمين.

ويذكر البيروني أنهم يكثرون من الجهنمات وصفاتها وأسمائها، ويفردون لكل ذنب أو لكل مجموعة من الذنوب جهنم خاصّاً أو محلاً خاصاً في جهنم، حتى إنَّ عددها قد بلغ في بعض أسفارهم إلى ثمانية وثمانين ألفاً، ذكر البيروني منها ثلاث عَشَرةَ جهنم: «منها ما يسمى «رور» وهي مخصصة للكاذب وشاهد الزور والمعاون لهما والمستهزئ بالناس؛ ومنها ما يسمى «رودة» وهي مخصصة لسافك الدم بغير حق وغاصب حقوق الناس، والمغير عليهم وقاتل البقر؛ ومنها ما يسمى «كنت» وهي مخصصة لقاتل البرهمن (المنتمي إلى الطبقة العليا وهي طبقة رجال الدين) وسارق الذهب ومن يصحبهم والأمراء الذين لا يقومون بواجبهم نحو رعاياهم ومن يزني بأهل أستاذه ومن يضاجع أم زوجته، ومنها ما يسمى «مها جال» وهي مخصصة لمن يغضي على فاحشة زوجته طمعاً في منفعة ومن يزني بابنته أو زوجة ابنه أو يبيع ولده أو يبخل على نفسه بما يملك...»[1].

ويذكر البيروني مذاهب أخرى للبرهميين في الجنة والنار. منها ما يراه بعضهم من أن جهنم ليست شيئاً آخر غير الانحطاط عن البشرية وتردد روح الخاطئ في الحيوان والنبات[2].

---

(1) البيروني، المرجع السابق 59 ـ 61: «وهم يكثرون من عدد الجهنمات وصفاتها وأسمائها. ويفردون لكل ذنب منها محلاً. وقيل في «بشن بران» إنها ثمانية وثمانون ألفاً».

(2) المرجع السابق، ص61، وترابعها.

العبادات في أسفار الدين البرهمي

تتجه العبادة في الدين البرهمي إلى غاية واحدة وهي الفناء في الله والاندماج في الكائن الأسمى. ويساعد على الوصول إلى هذه الغاية الإنابة إلى الله والرجوع إليه والندم على ما فرط من المعاصي والآثام والورع والتقشف في الحياة وإهمال مطالب الجسم لتصفو الروح التي هي قبس من الخالق. ومن ثم تحث البرهمية ـ على عكس الديانة الزرادشتية ـ على الإكثار من الصوم لما يؤدي إليه من إهمال المطالب الحيوانية للجسم وإضعاف القوى الجسمية وإضعاف تحكمها في العبد، بل إنها لتفرضه فرضاً على جميع الطبقات أو على بعضها في مناسبات كثيرة.

فمن ذلك أنها تفرض الصوم على طبقة رجال الدين، الذين يطلق عليهم اسم البرهمنيين كما سيأتي بيان ذلك، في أيام الاعتداليْن والانقلابَيْن (أوائل فصول الخريف والربيع والشتاء والصيف) وفي اليومين الأول والرابع عشر من كل شهر قمري (مبدأ ظهور الهلال وحينما يصبح بدراً). وروي في أسفارهم المقدسة كذلك أنه في أثناء كسوف الشمس يجب الكف عن الأكل والاتصال الجنسي. وهذا فيما يتعلق بالطبقات الدنيا. وأما الطبقات العليا (طبقة البرهمنيين رجال الدين وطبقة الكشتريِّن رجال الحرب) فلا يقتصر واجبهم على ما تقدم، بل يحرم عليهم كذلك الانتفاع بشيء من الأطعمة التي تكون بمنازلهم وقت الكسوف، ويجب عليهم التصدق بها على غير أفراد طبقتهم بعد تحطيم الآنية التي كانت فيها. وتوجب قوانين مانو على طبقة السيناتا Sinata (وهم كبار رجال الدين من البرهمنيين) أن يكفوا عن الأكل والشرب والنوم والسفر من غروب الشمس إلى غروب الشَّفق الأحمر كلَّ يوم[1].

وهذا فيما يختص بالصيام المفروض على بعض الطبقات والصيام الذي يؤدَّى بمناسبة كسوف الشمس. وأما الصيام العام فقد ذكر البيروني أنه عندهم: «تطوع ونوافل، وليس شيء منه مفروضاً». وذكر له أنواعاً كثيرة. منها أن يعين الشخص اليوم المصوم، ويضمر اسم من يتقرب إليه ويصوم لأجله، من الله أو أحد الملائكة أو غيرهم، ثم يتقدم هذا الفاعل ويجعل طعامه في اليوم الذي قبل يوم الصوم عند الظهيرة، وينظف الأسنان بالتخليل والسواك، وينوي صوم الغد، ويمتنع وقتئذ عن الطعام. فإذا أصبح يوم الصوم استاك ثانية،

---

(1) Westermarck op. Cit. T. II. P. 296، وانظر كذلك كتابنا «غرائب النظم والتقاليد والعادات»، الجزء الأول 67، وكتابنا في «الصوم والأضحية»، ص20، 21.

واغتسل وأقام فرائض يومه، وأخذ بيده ماء ورمى به في جبهته، وأظهر اسم من يصوم له بلسانه. وبقي على حاله إلى غد يوم الصوم، فإذا طلعت الشمس فهو بالخيار في الإفطار، إن شاءه في ذلك الوقت، وإن شاء أخَّرهُ إلى الظهيرة، فهذا النوع يسمى «أوب باس»... ومنه نوع آخر يسمى «كرجر» وهو أن يطعم في وقت ما وقت الظهيرة، وفي اليوم الثاني وقت العتمة، ولا يأكل في اليوم الثالث إلا ما يُدْفَع إليه غير مطلوب، ثم يصوم اليوم الرابع. ومنه نوع يسمى «براك» وهو أن يجعل طعامه وقت الظهيرة ثلاثة أيام متوالية، ثم يحوله إلى وقت العتمة ثلاثة أيام متوالية، ثم يصوم ثلاثة أيام متتالية لا يفطر فيها البتة. ومنه نوع يسمى «جندراين» وهو أن يصوم يوم الاستقبال، ويتناول في اليوم الذي يتلوه من الطعام قدر مضغة ملء الفم، ويضاعفها اليومَ الذي بعده، ويجعلها في اليوم الثالث ثلاثة أضعافها، إلى أن يبلغ يوم الاجتماع على هذا التزايد فيصومه، ثم يتراجع عن المقدار الذي بلغه طعامه بنقصان مضغة مضغة إلى أن يفنى عند استقبال بلوغ الاستقبال. ومنه نوع يسمى «ماسواس» وهو أن يصوم بالوصال أيام شهر متوالية لا يفطر فيها بتة»[1]. ثم ذكر الأيام التي يستحَبُّ فيها الصوم عندهم وهي كلها مرتبطة بمواقيت فلكية، وخاصة بمنازل القمر. فمن ذلك «اليوم الثامن والحادي عشر من النصف الأبيض من كل شهر ويوم الاستقبال من شرابن (اسم شهر عندهم)... وفي «أشوجج» (اسم شهر) إذا كان القمر في السرطان والشمس في السنبلة... واليوم الثامن من هذا الشهر وفطره مع طلوع القمر... واليوم الخامس من بهادرو (اسم شهر) ويصام هذا اليوم باسم الشمس؛ وفي السادس من «بوش» (اسم شهر) صوم للنساء دون الرجال... يكون تمام يوم بليلته...»[2]. وأشار إلى بعض طقوس غريبة ترتبط عندهم ببعض أنواع الصيام فذكر أنَّه في بعض هذه الأنواع «يجتنب الصائم اللحم والسمك والحلوى واقتراب النساء ويجعل أكله مرة كل يوم ويجعل الأرض وطاءه من غير فرش ولا ارتفاع عنها بسرير...»، وفي بعض أنواع الصيام «يتلوث الصائم بأخثاء البقر ويفطر بلبنها وبولها وأخثائها...»[3].

---

(1) البيروني، المرجع السابق، 130 ـ 132. «ويوم الاجتماع». و«ويوم الاستقبال» اللذان وردا في عباراته يراد بهما مواقيت فلكية.

(2) البيروني، المرجع السابق، 133 ـ 135.

(3) البيروني، المرجع السابق، 134، 135.

ويشتمل الدين البرهمي ـ بجانب الصوم ـ على عبادات أخرى تقسمها أسفارهم إلى ثلاثة أقسام: منها ما يشبه الصوم في تعلقه بالجسم؛ ومنها ما يتعلق بالصوت؛ ومنها ما يتعلق بالقلب.

أما العبادات المتعلقة بالجسم فمن أهمها «الصلاة، وخدمة الملائكة وعلماء البراهمة، وتنظيف البدن، واحترام الحياة الإنسانية، واحترام الأعراض».

وأما العبادات المتعلقة بالصوت فمن أهمها «قراءة الأوراد والدعوات الدينية والتسبيح، ولزوم الصدق، وملاينة الناس في الحديث، وإرشادهم، وأمرهم بالمعروف».

وأما العبادات المتعلقة بالقلب فمن أهمها: «تقويم النية، وترك التعظيم، ولزوم التأني، وجمع الحواس مع انشراح الصدر»[1].

ومن عباداتهم كذلك تقديم القرابين للآلهة. وتشمل القرابين التي تحث الفيدا على تقديمها للآلهة أنواعاً كثيرة منها اللبن والحبوب والسمن واللحوم وعصير الفواكه والنباتات. وفي أثناء تقديم القرابين يرتل الهنود الأناشيد الدينية والأدعية المأثورة في الفيدا ويؤدون رقصات وحركات تعبدية مصحوبة أحياناً بالموسيقى. والرقص عندهم عنصر أساسي من الشعائر الدينية. وكان يتمثل في حركات تعبيرية، ثم تدرج إلى الأسلوب القصصي والرمزي، يقص الحوادث والوقائع ويرمز إلى مظاهر الحياة. والموسيقى الدينية كانت تؤدى لديهم كذلك مصحوبة بحركات تعبيرية، ثم تطورت هي وحركاتها إلى الأسلوب القصصي والرمزي كما تطور الرقص الديني.

وللبرهمية طقوس تعبدية غريبة في الجنائز. فهم يحرقون جثة الميت في كومة من خشب الصندل تحت إشراف الكهنة الذين يدهنون جسم الميت بالشحوم والدهون ويرتلون عليه أناشيد دينية قبل الحرق وفي أثنائه، ويبقى أفراد الأسرة بجانب منصة الحرق أربعاً وعشرين ساعة بعد حرق الجثمان، وذلك ليجمعوا الرماد المتخلف عن عملية الحرق تمهيداً لإلقائه بعد اثني عشر يوماً في النقطة التي يعتقدون أن نهري جومنا والجانج يلتقيان فيها بالنهر الأسطوري الذي يعتقدون أنه يجري في باطن الأرض ويسمونه «ساراسوتي». وتقع هذه النقطة في بلدة الله آباد.

---

(1) البيروني، المرجع السابق، 75.

الشرائع في أسفار الدين البرهمي

من أهم شرائع الدين البرهمي النظم المتعلقة بالتفرقة العنصرية، وتقسيم المجتمع إلى طبقات، ووظائف كل طبقة منها واختصاصاتها، وانتقال هذه الوظائف والاختصاصات بطريق الوراثة.

وذلك أنَّ أسفار الفيدا وقوانين مانو لا تعترف بمبدأ المساواة بين الناس في القيمة الإنسانية المشتركة، بل تقرر التفاضل بينهم بحسب عناصرهم ونشأتِهم الأولى. فتزعم أن الإله براهما قد خلق أربع طبقات من الناس، وخلق كل طبقة من هذه الطبقات من طبيعة خاصة ومن موضع خاص من جسمه. فخلق طبقة «البرهميين» Brahmans من فمه، وطبقة «الكشتريين» Kachtriyas من ذراعه، وطبقة «الفيسائيين» Vaisyas من فخذه، وطبقة «الشودرا» أو المنبوذين Soudras من قدمه. ولما كان أشرف الأعضاء وأطهرها هو ما علا السرة، وأشرفها وأطهرها جميعاً هو الفم، ويليه في ذلك الذراع، ولما كان أحط الأعضاء هو ما كان أسفل السرة، وأحطها جميعاً هو القدم، لذلك كان أشرف الناس جميعاً وأطهرهم بحسب العنصر والنشأة الأولى هم الذين انحدروا من فم براهما وهم «البرهمنيون»، ويليهم في الفضل الذين انحدروا من ذراعه وهم «الكشتريون»، وكان أحط الطبقات الإنسانية الذين انحدروا من فخذه وقدمه وهم «الفيسائيون» و«الشودرا» أو المنبوذون، وأكثرهم رجساً ونجساً هم «الشودرا» المنحدرون من قدم براهما.

وتقسم هذه الأسفار الوظائف الاجتماعية بين هذه الطبقات بحسب منزلة كل طبقة منها وبحسب شرف الوظيفة نفسها وأهميتها. فللبرهميين أرقى الوظائف، وهي الوظائف الدينية. فهم وحدهم الذين يعلمون الناس أسفار «الفيدا» ويشرفون على المذابح والضحايا، وهم وحدهم الذين لهم الحق في «الإعطاء والمنع والقبول والرفض». وللكشتريين الوظائف الحربية وحماية الشعب والذود عن حياض البلاد والعمل على استتْباب الأمن. وللفيسائيين القيام على تربية الأنعام وفلح الأرض وشؤون التجارة. أما الشودرا أو المنبوذون فلم يعطهم السيد الأعلى إلا وظيفة واحدة، وهي أن يكونوا خدماً للطبقات السابق ذكرها. وهم فوق ذلك رجس ونجس، فلا يصح لمسهم ولا مؤاكلتهم

ولا مصاهرتهم ولا الارتباط بهم بأية رابطة غير رابطة السيد بالمسود[1]. وفي أحياء كثيرة من الهند يعتبر مجرد لمس المنبوذ دنساً ورجساً، وفي أحياء أخرى يلحق الدنس والرجس بالشخص إذا مر به المنبوذ على بعد بضعة أمتار. وديانة المنبوذين غير ديانة بقية الشعب. فهي تنحصر بعبادة الأرواح. وأعظم الآلهة عندهم يظهر في شكل كومة من الآجر أو في هيئة أخرى ساذجة.

وهذه الطبقات وهذه الوظائف طبقات ووظائف وراثية: فأولاد البرهماني يولدون برهمنيين ويزاولون وظائف أبيهم، وأولاد الكشتري يولدون كشتريين ويزاولون وظائف أبيهم... وهكذا بقية الطبقات. ولا يصح لفرد من طبقة ما أن ينتسب إلى غير طبقته ولا أن يزاول غير الوظائف المخصصة لها.

وقد اجتهد غاندي في القضاء على هذه الفوارق ورد الاعتبار إلى المنبوذين ولكن جهوده لم تكلل بالنجاح، وبقي نظام الطبقات على ما كان عليه من قبل.

وإلى هذا النظام يشير البيروني إذ يقول: «وللهند في أيامنا من ذلك (أي تقسيم الناس إلى طبقات) أوفر الحظوظ. حتى إنَّ مخالفتنا إياهم، وتسويتنا بين الكافة إلا بالتقوى، كان من أعظم الحوائل بينهم وبين الإسلام (أي أن سير الإسلام على مبدأ أن الناس سواسية لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى كان من أعظم الحوائل بين الهنود والدخول في الإسلام لشدة تمسكهم بالتفرقة العنصرية). وهم يسمون طبقاتهم «برن» أي الألوان، ويسمونها من جهة النسب «جانك» أي المواليد. ـ وهذه الطبقات في أول الأمر أربع. عليا «البراهمة» وقد ذكر في كتبهم أن خلقتهم من رأس براهما وأن هذا الاسم كناية عن القوة المسماة طبيعة، والرأس علاوة الحيوان، فالبراهمة نقاوة الجنس، وبذلك صاروا عندهم خيرة الأنس. والطبقة التي تتلوهم «كشتر» خلقوا بزعمهم من مناكب براهما ويديه، ورتبتهم عن رتبة البراهمة غير متباعدة جداً. ودونهم «بيش» (الفيسائيون) خلقوا من فخذ براهما، و«شودرا» خلقوا من رجلي براهما. وهاتان المرتبتان الأخيرتان متقاربتان»[2].

---

(1) قوانين مانو الكتاب الأول مادة 31 وتوابعها ومادة 93 وتوابعها والكتب السابع والثامن والتاسع والعاشر.

(2) البيروني، المرجع السابق، ص91.

ويضيف البيروني إلى ذلك أنه بجانب هذه الطبقات الأربع توجد طبقتان أخريان تشتمل كل طبقة منها على عدة فروع: إحداهما طبقة الصناع، والأخرى طبقة المشتغلين برذالات الأعمال.

ويقول بصدد الطبقة الأولى: «ثم أرباب المهن غير هؤلاء (أي غير الطبقات الأربع السابق ذكرها)... ويسمون «أنتر» هم ثمانية أصناف بالحرف... وهم القصار والإسكاف واللعاب ونساج الزنابيل والأترسة والسفان وصياد السمك وقناص الوحوش والطيور والحائك. وهؤلاء لا تساكنُهم الطبقات الأربع في بلدة، وإنما يأوون إلى مساكن تقربها وتكون خارجها». وذكر ما يفهم منه أنه يلحق بكل مهنة من هذه المهن ما يشبهها من المهن الأخرى التي لا تدخل تحت هذه المهن الثمان، ما عدا القصار والإسكاف والحائك فإنه لا تنحط إلى حرفتهم ولا تلحقُ بها أية حرفة أخرى.

ويقول بصدد الطبقة الثانية: «وأما «هادى» و«دوم» و«جندال» و«بدهتوا» فليسوا معدودين في شيء، وإنما يشتغلون برذالات الأعمال، من تنظيف القرى وخدمتها، وكلهم جنس واحد، يميزون بالعمل... وقد ذكر أنهم يرجعون إلى أب «شودر» وأم «برهمن» خرجوا منها بالسفاح فهم منفيون منحطون»[1].

وكما تفرق الشريعة البرهمية بين الطبقات تفرقة عنصرية تفرق كذلك بين الرجل والمرأة في القيمة الإنسانية وفي سائر الحقوق. فتجرد المرأة من أهليتها المدنية وتجعلها تحت سيطرة الرجل في مختلف مراحل حياتها كما تنص على ذلك المادتان 147، 148 من قوانين مانو إذ تقرران أنه: «لا يحق للمرأة في أية مرحلة من مراحل حياتها أن تجري أي أمر وفق مشيئتها، حتى لو كان ذلك الأمر من الأمور الداخلية لمنزلها (مادة 147). ففي مراحل طفولتها تتبع والدها، وفي مرحلة شبابها تكون تابعة لزوجها فإذا مات زوجها تنتقل الولاية عليها إلى أبنائه، فإن لم يكن له أبناء تنتقل الولاية عليها إلى رجال عشيرته الأقربين، فإن لم يكن له أقرباء انتقلت الولاية عليها إلى عمومتها، فإن لم يكن لها رجال عمومة انتقلت الولاية عليها إلى الحاكم. فليس للمرأة في أية مرحلة من مراحل حياتها حق في الحرية ولا في الاستقلال ولا في التصرف وفق ما تشاء (مادة 148)».

---

(1) البيروني، المرجع السابق، ص91، 92.

ومن أهم ما تعنى به شريعتهم كذلك موضوع الدولة. والدولة في نظر الفيدا هي التي يحكمها الملك في بلاد ذات حدود تدعى «راشترا». وإذا لم يكن فيها ملك أو محافظ وجب على الشعب انتخابه من بينهم لمواجهة العدو تحت قيادة منظمة. وعليه أن يقود جيش الدفاع بنفسه. ويتلقى في مقابل خدماته طاعة الرعية والخراج والهدايا والتحف من القبائل وأعيان البلد.

ومن أهم ما تُعنى به شريعتهم كذلك النظم المتعلقة بالزواج وشؤون الأسرة. وهي تعتبر الزواج واجباً على كل قادر عليه. ومن ثم ينظر البرهميون إلى الأعزب نظرتهم إلى عنصر فاسد ضار، أو إلى مخلوق عجيب ومسخ غير طبيعي، ويعتقدون أن من يموت بدون عقب تتخبط روحه كمن يتخبطه الشيطان من المس، أو كمنْ وقع تحت عبء دين ثقيل لا يستطيع الوفاء به[1]. ولكن نظم الزواج والأسرة في الشريعة البرهمية تختلف اختلافاً كبيراً في كثير من الوجوه عن نظائرها في اليهودية والنصرانية والإسلام.

فمن ذلك أنها تعتبر الاستيلاء على المرأة بالقوة وسيلة مشروعة لاتخاذها زوجة في طبقة الكشتريين أي رجال الحرب. فقد ورد في المادة الثالثة والثلاثين من الكتاب الثالث من قوانين مانو أنه «إذا استولى رجل على امرأة بالقوة وسباها من منزل أهلها وهي تبكي وتصرخ في طلب النجدة وانتصر على من حاولوا مقاومته فقتلهم أو جرحهم... فإن طريقته هذه تسمى «طريقةالجبابرة» Mode de Géant.

وتنص المواد الثالثة والعشرون والخامسة والعشرون والسادسة والعشرون من هذه القوانين على أن «طريقة الجبابرة» طريقة مشروعة للزواج في طبقة الكشتريين (رجال الحرب)[2].

ومن ذلك أنها تبيح أن يلحق نسب الولد بجده لأمه إذا اشترط ذلك في العقد. وإلى هذا النظام يشير البيروني إذ يقول: «وقد يكون النسب من صلب الختن في بطن الابنة المزفوفة إذا شورط على أن يكون الولد لأبيها. فيكون حينئذ ولد الابنة للجد المشارط دون الأب الزارع»[3] (أي الذي وضع النطفة). ومن ذلك أنها تبيح للمرأة أن تتصل بزوج

---

(1) انظر كتابنا في «قصة الزواج والعزوبة في العالم» 9، 10، وكتاب وستر مارك Westermarck, op. Cit. II, p.386.

(2) انظر كتابنا في «الأسرة والمجتمع» الطبعة الثامنة، ص118.

(3) البيروني، المرجع السابق، ص97، والختن بفتحتين يطلق أحياناً على زوج الابنة وهو المراد هنا.

أختها إذا كان زوجها هي عقيماً لتأتي بأولاد يلحق نسبهم بزوجها من الناحية الشرعية[1]. ومن ذلك أنها تبيح «نكاح الاستبضاع» وهو أن يتصل بالزوجة، برضا زوجها، رجل آخر قوي نجيب لتأتي لزوجها بأولاد نجباء، فيعتبر الزوج هو الأب من الناحية الشرعية، ويعتبر الرجل الآخر مجرد أداة استخدمت لإنجاب الأولاد. وإلى هذا النظام يشير البيروني إذ يقول: «وقد يكون النسب من صلب الأجنبي في بطن الزوجة، لأن الأرض للزوج، فيكون أولاد المرأة لزوجها إذا كانت الزراعة برضا منه»[2].

ويؤخذ من بعض أسفارهم وقصصهم أنه كان يباح في شريعتهم أن يشترك في المرأة الواحدة عدة أزواج وخاصة إذا كانوا إخوة[3]. فقد جاء في «المهاربهاراتا» Mahavharata (وهي ملحمة شعرية شهيرة عند الهنود تشبه الإلياذة والأوديسيا عند قدماء اليونان) أن أرجونا ثالث أبناء الملك باندو الخمسة فاز بدوبادي، ابنة ملك بانشالا، بأن أطلق خمسة أسهم داخل حلقة ضيقة ومعلقة في الهواء[4]، ولكن أمه قالت له إن كل شيء يجب أن يكون مشاعاً، وهكذا اقترن الإخوة الخمسة بالفتاة وعاشوا جميعاً في قصر واحد[5]. ويروي البيروني هذه القصة على وجه آخر يختلف قليلاً عن الوجه السابق إذ يقول: «وقد كان لأولاد باندو الأربعة زوجة مشتركة فيما بينهم تقيم عند كل واحد شهراً»[6]. ولا يزال نظام تعدد الأزواج للزوجة الواحدة، وخاصة إذا كانوا إخوة، متبعاً إلى الوقت الحاضر في عدة مناطق من الهند، وخاصَّة لدى القبائل الجبلية على حدود الهند الشمالية. ومن أشهر القبائل التي لا تزال تسير على هذا النظام في الوقت الحاضر قبائل «جوانسواريس»[7]. ويذكر البيروني أن كثيراً من هذه الأنواع الغريبة من النكاح قد ورد

---

(1) الأسرة والمجتمع، الطبعة الثامنة، ص72.

(2) البيروني، 97، هذا ونكاح الاستبضاع كان جائزاً عند شعوب كثيرة منها العرب في الجاهلية. انظر كتابنا في «الأسرة والمجتمع»، الطبعة الثامنة، صفحتي 71، 72.

(3) انظر البيروني، المرجع السابق، 98، وكتابنا في «الأسرة والمجتمع» الطبعة الثامنة، ص68.

(4) يشبه هذا ما تنسبه الأوديسيا إليأوليس. انظر كتابنا في «الأدب اليوناني القديم». ص83.

(5) الأسرة والمجتمع، الطبعة الثامنة، صفحتا 68 ـ 69.

(6) البيروني، المرجع السابق، ص98.

(7) الأسرة والمجتمع، الطبعة الثامنة، صفحتي 67 ـ 68.

لديهم فيما بعد الأمر بتحريمها، وأن هذا دليل على أنهم يجيزون النسخ في الأحكام[1].

ـ وأما تعدد الزوجات للزوج الواحد فقد أباحته جميع كتبهم المقدسة ولم يرد أي نص بتحريمه ولا بكراهته.

وتضع كتبهم المقدسة قيوداً فيما يتعلق بالطبقات التي يحل بينها التزاوج والطبقات التي تحرم أو يكره بينها التزاوج، فلا يجوز للرجل من طبقة ما أن يتزوج إلا من امرأة تنتمي إلى طبقة أو طبقات معينة، وقد تختلف هذه القيود في الزواج الثاني وما يليه (أي حينما يريد الرجل مثلاً أن يجمع بين زوجتين فأكثر) عن قيود الزواج الأول. وفي الكتاب الثالث من «قوانين مانو» تفصيل كبير لهذه القيود.

وبحسب تعاليم الفيدا يرث الابن أباه، ولا ترثه ابنته إلا إذا كانت وحيدته.

وعلى الرغم مما كان للزواج في نفوس البرهميين من منزلة كبيرة، فإنهم كانوا يرون العزوبة واجبة على كل من يصل إلى منزلة القديسين من رجال الدين. وكان يجب لديهم كذلك على البراهما كارين Brahmacarine، وهو التلميذ في أدوار دراسته الدينية قبل أن يصل إلى مرتبة القسيس، أن يظل أعزب وألا يقرب النساء حتى يفرغ من دراسته.

وتعترف الفيدا بحق الملكية الفردية، وتبيحها في العقار والمنقول كالذهب والفضة والحُلي والأنعام.

ومن غريب ما تذهب إليه الشريعة البرهمية في شؤون المسؤولية والجزاء أنها تأخذ بنظام المسؤولية الجماعية في بعض الجرائم وتجيز أن ينتقل الجرم وتبعته إلى غير مقترفه. وقد نصت قوانين مانو على أمور كثيرة من هذا القبيل. فمن ذلك أنها تقرر أن نكاح السفاح أو النكاح المحرم يقع إثمه على جميع الأولاد الذين يجيئون منه كما يقع على الزوجين نفسيهما، وأنه إذا عقد شخص زواجاً لا كفاءة فيه بين الزوجين، أو أهمل رسماً من رسوم الدين، أو لم يدرس أسفار «الفيدا»، أو أهان أحد أفراد البرهميين (طبقة رجال الدين)، فإنّ جرم هذه الأعمال يقع على المجرم وينتقل منه إلى جميع أفراد أسرته، وإنَّ شاهد الزور يعاقب بجرمه في خمسة أو عشرة أو مائة ألف من أقربائه تبعاً لخطورة شهادته ومبلغ ما يترتب عليها من الإضرار بالغير، وأن الرجل الخليع exclut de son caste (وهو الذي تتبرأ منه طبقته

(1) البيروني، المرجع السابق، ص98.

وتخلعه من ذمتها لعمل ارتكبه) إذا عاشره رجل آخر أو قدم ضحية عنه أو علمه أو صاهره أو شاركه في ركوب عربته أو في مقعده أو في طعامه.. فإن هذا الرجل الآخر يصبح هو نفسه خليعاً، وأن من يقتل برهمياً (أحد رجال الدين) ينتقل جرمه إلى من يؤاكله، وأن المرأة التي تخون زوجها ينتقل جرمها إلى زوجها نفسه، وأنه إذا قرب رجل من طبقة راقية امرأة من طبقة الشودرا (المنبوذين) ثم دعى إلى مأدبة انتقل إليه ما ارتكبه أصحاب هذه المأدبة من معاص وسيئات، وأن الحاكم إذا لم يعاقب سارقاً معترفاً بالسرقة ينتقل إليه جرمه كاملاً، وأن الملك الذي لا يحمي أفراد شعبه ينتقل إليه سدس خطاياهم جميعاً، والذي يحميهم ينتقل إليه سدس حسناتهم جميعاً[1].

الأخلاق في أسفار الدين البرهمي

تدعو الديانة البرهمية إلى كثير من الفضائل التي يدعو إليها الإسلام، وتنهى عن كثير مما ينهى عنه من مظاهر الرذائل والفحشاء والمنكر والبغي.

وتقوم أخلاقها الإيجابية على عشر دعائم أساسية هي الوصايا العشر للدين البرهمي، وهي: مراعاة الكائن الإلهي، ومقابلة الإساءة بالإحسان، والقناعة، والاستقامة، والطهارة، وكبح جماح الحواس، ودراسة الفيدا، والصبر، والصدق، واجتناب الغضب.

ويذكر البيروني في صدد هذه الدعائم رواية أخرى لا تختلف كثيراً عن هذه الرواية إذ يقول: «والسيرة الفاضلة وهي التي يفرضها الدين وأصوله، بعد كثرة الفروع عندهم، راجعة إلى جوامع عدة هي: ألا يقتل، ولا يكذب، ولا يسرق، ولا يزني، ولا يدخر، ثم يلزم القدس والطهارة، ويديم الصوم والتقشف، ويعتصم بعبادة الله تسبيحاً وتمجيداً، ويديم أخطار «أوم»، التي هي كلمة التكوين والخلق،على قلبه بدون التكلم به»[2].

ومن أهم الرذائل التي تخصها أسفارهم بالذكر، وتحدد مكان مرتكبيها في جهنم، الكذب وشهادة الزور وسفك الدم بغير حق والاستهزاء بالناس وغصب حقوقهم والسرقة وخاصة سرقة الذهب وقتل البقرة والزنا وخاصة الزنا بالابنة وزوجة الابن وأم

---

(1) انظر كتابنا في المسؤولية والجزاء، الطبعة الثالثة، 112، 113 و Fauconnet: La Responsabilité.

(2) البيروني، المرجع السابق، ص71.

الزوجة واتصال التلميذ بزوجة أستاذه وجماع المرأة في الأيام المعظمة وإتيان البهائم والإغضاء عَنْ فاحشة الزوجة طمعاً في منفعة والاحتيال والغدر وعقوق الآباء والأجداد والشح والبخل على النفس وإخفاء المال طمعاً بصلات الأمراء وإحراق بيوت الناس وقطع الأشجار وتقصير الأمراء في واجباتهم نحو رعاياهم[1].

وقد عُني بتوضيح نظامهم الخلقي والعمل على تهذيبهم وحضهم على التمسك بالفضائل والابتعاد عن الرذائل كثير من فلاسفتهم، ومن أشهرهم «كرشنا» الذي ولد حوالي سنة 480 قبل الميلاد. وقد أثرت عنه حكم ونصائح كثيرة، منها قوله: «إن الجسد الذي تهبط إليه النفس شيء زائل، أما النفس التي لا تدركها العين فهي أبدية»، وقوله: «إذا انحلَّ جسد الشخص بالموت، فإن كانت شهواته متغلبة عليه في حياته فإن روحه ترجع مرة ثانية إلى الأرض ولا يكون لها مكان في السماء، وإن كانت الحكمة متغلبة عليه في حياته فإن روحه تطير إلى الطبقات العليا حيث ترى وجه الله وتدرك كماله».

الهندوسية والصهيونية

نموذجان لعنصرية دينية واحدة

إنها أعمق من العلاقات السياسية والعسكرية والإستراتيجيَّة، ليست علاقة مصالح فحسب، إنما هي اكتشاف للتشابه بين رؤيتين دينيتين تستندان على جذور نفسية وتاريخية حضارية القاسم المشترك بينهما العداء للإسلام والمسلمين، وعنصرية دينية أساسها الفهم الديني الوثني الذي يقسم البشر إلى أسياد وعبيد إلى كهنة ومنبوذين. إلى أصناف بشرية إلهية وأصناف بشرية حيوانية وباختصار إلى شعب مختار وشعوب خارج دائرة الاختيار.

1 - جذور دينية:

في أسفار العقيدة البرهمية عدد من الكتب أهمها على الإطلاق الكتاب التاسع والكتاب العاشر وهما يتحدثان في طبقات المجتمع والنظم الخاصة بكل طبقة منها، وفيها ما يسمى قوانين مانو. وهي لا تعترف بمبدأ المساواة بين الناس في القيمة الإنسانية المشتركة بل

---

(1) انظر أواخر الفقرة الثالثة من هذا الفصل.

تقرر التفاضل بينهم بحسب عناصرهم ونشأتهم الأولى. وتزعم هذه القوانين أن الإله براهما خلق من فخذه طبقة الشودرا أو المنبوذين. وأولاد كل طبقة يمارسون وظائف آبائهم، ولا يصح لفرد من طبقة ما أن ينتسب إلى غير طبقته ولا أن يزاول غير الوظائف المخصصة له.

ويشير البيروني إلى ذلك بقوله في كتابه الهام «تحقيق ما للهند»: «وللهند في أيامنا من ذلك (أي تقسيم الناس إلى طبقات) أوفر الحظوظ حتى إنَّ مخالفتنا إياهم وتسويتنا بين الكافة إلا بالتقوى كان من أعظم الحوائل بينهم وبين الإسلام».

وفي كتاب التوراة المحرفة وكذلك التلمود مئات القوانين والتشريعات العنصرية المشابهة التي تميز بين اليهود وغيرهم وبين يهود ويهود. وأكثر أجزاء التلمود تركيزاً على هذه العنصرية كتاب رسالة الوثنيين الذي يشرع لليهود قوانين التعامل العنصري مع غيرهم، فيقول التلمود: الغرباء وثنيون فتجب إبادتهم، وإن لم تحصل الإبادة فيجب معاملتهم بنظرة دونية.

وجاء فيه: إن الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة فإذا ضرب أمي إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية.

ويقول الحاخام شينؤورس: إن الفرق بين اليهودي وغير اليهودي هو من النوع الذي ينطبق عليه التعبير السائر (ولا وجه للشبه) إذ كيف يمكن البحث عن فرق بين شيئيْن من مستويين مختلفين. ففي حين يجلس اليهودي في المرتبة العليا وينحدر من الصنف الأسمى تقبع بقية الأمم في الدرك الأسفل وتنحدر من أدنى صنف ويستند هذا الكلام إلى نص توراتي يقول: (أنا إلهكم الذي ميزكم عن الشعوب).

في العقيدة الهندوسية خُلق الشودرا أو المنبوذين من قدم الإله براهما فلذلك هم أنجاس لا يلمسون. ولا يحق لهم أن يعملوا إلا في أدنى الأعمال. وهذه الصورة نجد صداها في نصوص التلمود.

فإذا كان المنبوذون خلقوا لخدمة الطبقات الأعلى في المجتمع الهندي فإن التلمود يرى أن كافة مخلوقات الله خلقت لخدمة اليهودي.

يقول التلمود في ميدراس تالبيوت: خُلق الأكوم (الغرباء) لغاية وحيدة هي لخدمة بني إسرائيل ليل نهار، وهم لا يستطيعون التخلص من هذه الخدمة.

وفي الهندوسية واليهودية تلتقي التعاليم في أن المنبوذين والشعوب غير اليهودية لا يمكن أن يتخلصوا من هذه الخدمة.

ولنتصور ماذا يقول التلمود: إن النطفة المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان.

فأرواح المنبوذين وأجسادهم نجسة حسب العقيدة البرهمية وهذا ما جاء في الكتاب العاشر من قوانين مانو الهندوسية والذي يشتمل على 131 مادة جميعها تتحدث عن الفروق بين الطبقات. وكذا الأمر في عقيدة التلمود.

يقول الرابي مناحم: أيها اليهود إنكم من بني البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله وأما باقي الأمم فليست كذلك لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة.

أما الحاخام أرئيل فيقول: ويلزم المرأة اليهودية أن تعيد اغتسالها إذا رأت عند خروجها من الحمام شيئاً نجساً كالكلب والحمار والمجنون والأميّ.

ومن أغرب التقاطعات بين العقيدة الهندوسية واليهودية أن البرهمية ترى أن طبقة الشودرا أو المنبوذين وخاصة الذين يسمون بـ (جندال ودوم وبدهتوا) خرجوا إلى الوجود نتيجة السفاح بين أب يدعى شودر وأم تدعى برهمن فهم منفيون منحطون.

وجاء في سنهورين من التلمود على لسان توسينوت: الجماع الجنسي (للغوي) هو كالجماع الجنسي للبهيمة وإن قيمة منيِّ (الغوي) هو كقيمة منيّ البهيمة.

2 - الجذور التاريخية:

ليست التقاطعات الدينية العنصرية بين الهندوسية واليهودية المنحرفة هي التي تشكل كل شيء في العداءِ للآخرين. ففي الجذور التاريخية لكل من الهندوس واليهود المنحرفين تقاطعات كثيرة تمتزج فيها الجوانب الحضارية تارة والتراثية تارة أخرى والاقتصادية تارة ثالثة.

فالهندوس يرون في الإسلام ديناً غريباً، فرض على كثير من الهنود منذ الفتوحات الإسلامية الأولى في القرن الأول والثاني الهجريين. وقد كان ملوك الإقطاع الهنود يتحكمون برقاب الناس من الطبقات الفقيرة والفلاحين والمنبوذين. وتضررت مصالح هؤلاء بسبب تعاليم المساواة والعدالة التي نشر أسسها الإسلام في كل مكان يصل إليه

المسلمون. وقد استغل رجال العقيدة البرهمية المتحالفون مع الإقطاع والمهراجات ذلك ليشيعوا بين الهنود أن المسلمين أتوا للهند لتقويض الحضارة الدينية الهندية.

وقد ظل السلاطين المسلمون من الهنود أنفسهم يحكمون أكثر مناطق الهند لقرون عدة، فبنوا آلاف المدارس الدينية وآلاف المساجد ودور العلم وقد بلغ النشاط التجاري ذروته زمن هؤلاء السلاطين خاصة في بومباي وكلكتا.

وما إن حل القرن السادس عشر حتى راحت الدول الاستعمارية كإسبانيا وهولندا والبرتغال تفتش لها عن مواطئ قدم في الهند وجنوب آسيا مما دفع السلاطين المسلمين للتصدي لهؤلاء المستعمرين ومنعهم من بناء المستعمرات العسكرية والتجارية على أراضي الهند.

ومع تنامي الاستعمار الإنجليزي في القرن التاسع عشر ودخوله حلبة التنافس الاستعماري في آسيا والهند خاصة، انكفأ المستعمرون القدامى وراح الإنجليز يوطدون أقدامهم في الهند حتى تم لهم استعمارها.

لعب الإنجليز لعبة إحياء الهندوسية كهوية وعقيدة لمواجهة الإسلام والمسلمين. وابتدعوا عقائد جديدة تدّعي الإسلام بينما هي تنشق عن المسلمين وتمالئ الإنجليز كالقاديانية ومن ثم الأحمدية، وتحت رعايتهم ظهرت العقيدة السيخية في الشمال والشرق من الهند، وأججت العواطف العنصرية في هذه العقائد حتى وقف معظم الإقطاعيين إلى جانب الإنجليز وكذلك رجال الدين البراهمة.

ويؤكد مجاهد الإسلام قاسمي رئيس مجلس القضاء الإسلامي في الهند أن الإنجليز رسخوا العداء في نفوس الهندوس ضد المسلمين من خلال تنمية الروح الهندوسية وإشاعة أن الإسلام دين غريب يجب الحد منه أو القضاء عليه.

وبحلول عام 1947 تشكلت دولة باكستان حيث الغالبية المسلمة. وكان الإنجليز قد قاموا بعقد صفقة مع أحد أمراء الهندوس حيث باع البريطانيين مقاطعة كشمير ب 7.5 مليون روبية أي أن قيمة الفرد المسلم في كشمير بلغت سبع روبيات. وتقرر في معاهدة أمريتسار عام 1847 أن يعترف الأمير بالسيادة البريطانية على إقليم كشمير مثلما حدث في سائر الإمارات.

وظل مسلمو كشمير طول قرن من الزمان يتعرضون لصنوف شتى من الظلم والاضطهاد حتى عام 1947 حيث نص إعلان الحكومة البريطانية أن تنضم إلى باكستان المناطق ذات الأكثرية المسلمة لكن كشمير ظلت تحت نير الاستعباد الهندوسيّ حتى اليوم.

ما يعنينا في هذا الإطار أن عمليات الإبادة والجرائم الهندوسية وكذلك الصهيونية وصلت ذروتها عام 1947. والغريب في الأمر أن المنظمات والعصابات الهندوسية المعروفة باسم آر سي سي وعصابة دوغر التي تكوّن جيوش المهراجات والأمراء الهندوس قامت بارتكاب عمليات إبادة جماعية ضد المسلمين ولمدة ثلاثة أشهر في عام 1947 وفي فلسطين أيضاً قامت عصابات الهاغاناه وشتيرن والأرغون وتسفي بعمليات إجرامية جماعية بحق الشعب الفلسطيني،تمهيداً لأكبر حملة تهجير ومن ثم إقامة الكيان الصهيوني. والهندوس لا يكرهون المسلم فقط بل ينظرون إليه باحتقار من منطلق أن الهندوس هم شعب الله المختار تماماً مثلما ينظر اليهود الصهاينة لأنفسهم وللعرب.

ولعل التشابه الأفظع بين الهندوس والصهاينة يكمن في القضاء على الحضارة الإسلامية والمقدسات الدينية والاستيطان. فعندما وقعت كشمير في قبضة الجيش الهندي دفعت بموجات من الهندوس للاستيطان في كشمير لتغيير الطابع السكاني. وكذلك فعل الصهاينة، حيث استقدموا المهاجرين اليهود بالملايين ليستوطنوا القدس والضفة وفلسطين بأسرها. ومازال الطرفان الهندوسي والصهيوني يمارسان عمليات الاستيطان على حساب أراضي المسلمين في كشمير وفلسطين.

3 - ممارسات عنصرية تتشابه لحد التطابق:

من خلال الموقف الديني العنصري للهند والكيان اليهودي الصهيوني مارس الجانبان ممارسات عنصرية فظة بحق المسلمين لحقت الجانب البشري والمادي.

فمنذ عقود طويلة وحملة القتل والإبادة والإذلال تستمر في الهند بحق المسلمين، لكنّ الصورة العنصرية تتجلى في أساليب لا إنسانية تستخدم بشكل ملفت النظر. فالهندوس وبمساعدة ومساندة من أجهزة الأمن الحكومية يقومون بالهجوم على أحياء المسلمين فيجمعون الشباب والشابات ويشعلون النار فيهم وهم أحياء، ويفجرون

المتاجر بمن فيها ويهاجمون المدارس حيث يُقتل مئات الأطفال جراء التفجيرات أو الغازات السامة.

ولعل من أبشع الأساليب العنصرية التي يستخدمها الهندوس الإيعاز للأطباء في المستشفيات العامة والعيادات بحقنْ النساء والفتيات المسلمات بفيروسات تمنع الحمل. بحيث تصبح الفتيات عقيمات. وذلك دون أن تدرك المسلمات أن الأدوية التي تُعالج بها أدوية وعقاقير قاتلة لعدة أجهزة عصبية في الجسم.

وليست أساليب الكيان الصهيوني بعيدة عن ذلك فهي في نفس الدائرة تحاول وبشتى الوسائل منع تزايد عدد الفلسطينيين وذلك من خلال الأساليب الطبية الخبيثة ومن خلال التضييق المستمر على الأسرة الفلسطينية وخاصة داخل الأراضي المحتلة عام 1948 وتقارير كل اللجان الطبية كالصليب الأحمر تشير إلى أن إدارة سجون الاحتلال الصهيوني تلجأ إلى أساليب تعذيب شرسة من شأنها إحداث عاهات دائمة في المعتقلين من شأنها الحد من الإنجاب أو قتله تماماً لدى الفلسطينيين.

أما على المستوى المادي فإن هدم المساجد في الهند وكذلك في الكيان الصهيوني وصل حداً ينذر بالخطر الفادح. فالعدو الصهيوني يحاول جاهداً أن يدمر المسجد الأقصى ويمحوه من الوجود. ومنذ عام 1948 وحتى الآن هدم هذا العدو مئات المساجد في الأراضي المحتلة عام 1948 وحوّل بعضها إلى مراكز لهو كما فعل في أحد المساجد في مدينة يافا. كما حوّل بعضها إلى كُنس تقام فيها شعائر الخرافات اليهودية.

وفي الهند هدم الهندوس مسجد البابري التاريخي. وقد حذر أحد الزعماء المسلمين الهنود من أن اليهود يدّعون أن المسجد الأقصى أقيم على أنقاض الهيكل اليهودي المزعوم ويدعي الهندوس أن البابري أقيم على أنقاض معبدٍ هندوسي للإله الوثني راما. والخطورة لا تكمن في هدم البناء كبناء إنما تكمن في كون المسجد رمزاً أساسياً للمسلمين.

ومن الواضح في كلتا الحالتين أن الحرب على المسجد كرمز هي حرب بين الإسلام والهندوسية واليهودية الصهيونية.

ويرتبط هدم المساجد ارتباطاً وثيقاً بالتيارات العنصرية الدينية للهندوس واليهود، ولذا نجد المنظمات الإرهابية العنصرية تلقى الرعاية الكبيرة من قبل حزب

بهاراتيا جاناتا الهندوسي وكذلك من قبل الأحزاب التي حكمت الكيان الصهيوني طوال خمسة عقود.

ففي الهند تعتبر منظمة RSS أكبر المنظمات الهندوسية العنصرية وهي تدعو حسب قولها إلى تطهير الهند من المسلمين. وقد أصدرت في بداية التسعينات وثيقة نشرتها بين أوساط الهندوس تدعو فيها إلى القيام بعمليات إبادة ضد المسلمين وحرقهم أحياء والهجوم على سكنهم ومدارسهم ومساجدهم. وتلقى هذه المنظمة دعماً قوياً من قبل حكومة حزب جاناتا الهندوسي.

وليس ذلك بعيداً عن المنظمات اليهودية الصهيونية كمنظمة أمناء الهيكل، وغوشي إيمونيم وغيرهما. فهذه المنظمات تلقى الرعاية والدعم من حكومات العدو الصهيوني ومن كبار ضباط الجيش. وهي تدعو إلى تدمير المسجد الأقصى وطرد العرب من فلسطين أو تصفيتهم.

وقد تبيّن أن تعاوناً وثيقاً يجري بين المنظمات العنصرية الهندوسية والمنظمات اليهودية السرية إضافة لمنظمات عنصرية أميركية وغربية، أمثال منظمة كوكلوكس كلان التي تغذي عدة فروع لها في أنحاء العالم وتتعاون مع كافة التنظيمات العنصرية المعادية للإسلام والمسلمين.

وقد ذكرت بعض التقارير أن زعيم منظمة كلان التقى عام 1995 مع زعماء المنظمات السرية الإرهابية الهندوسية واليهودية والصهيونية للتنسيق وابتداع أساليب جديدة لإبادة المسلمين في مناطق البلقان وجنوب آسيا والولايات المتحدة. وفلسطين المحتلة. وبالنتيجة فإن القارئ للعلاقات الهندية الصهيونية لا يكفيه أن ينظر إلى المسألة من خلال المصالح الاستراتيجية العسكرية ودور كل من الهند والكيان الصهيونيّ في رسم مناطق النفوذ في الخليج والوطن العربي. إنها لا تتم الرؤية إلا إذا عاد نحو الماضي ونحو مسألة العداء الديني المتجذر في العقلية الوثنية الهندوسية والعقلية التوراتية التحريفية اليهودية.